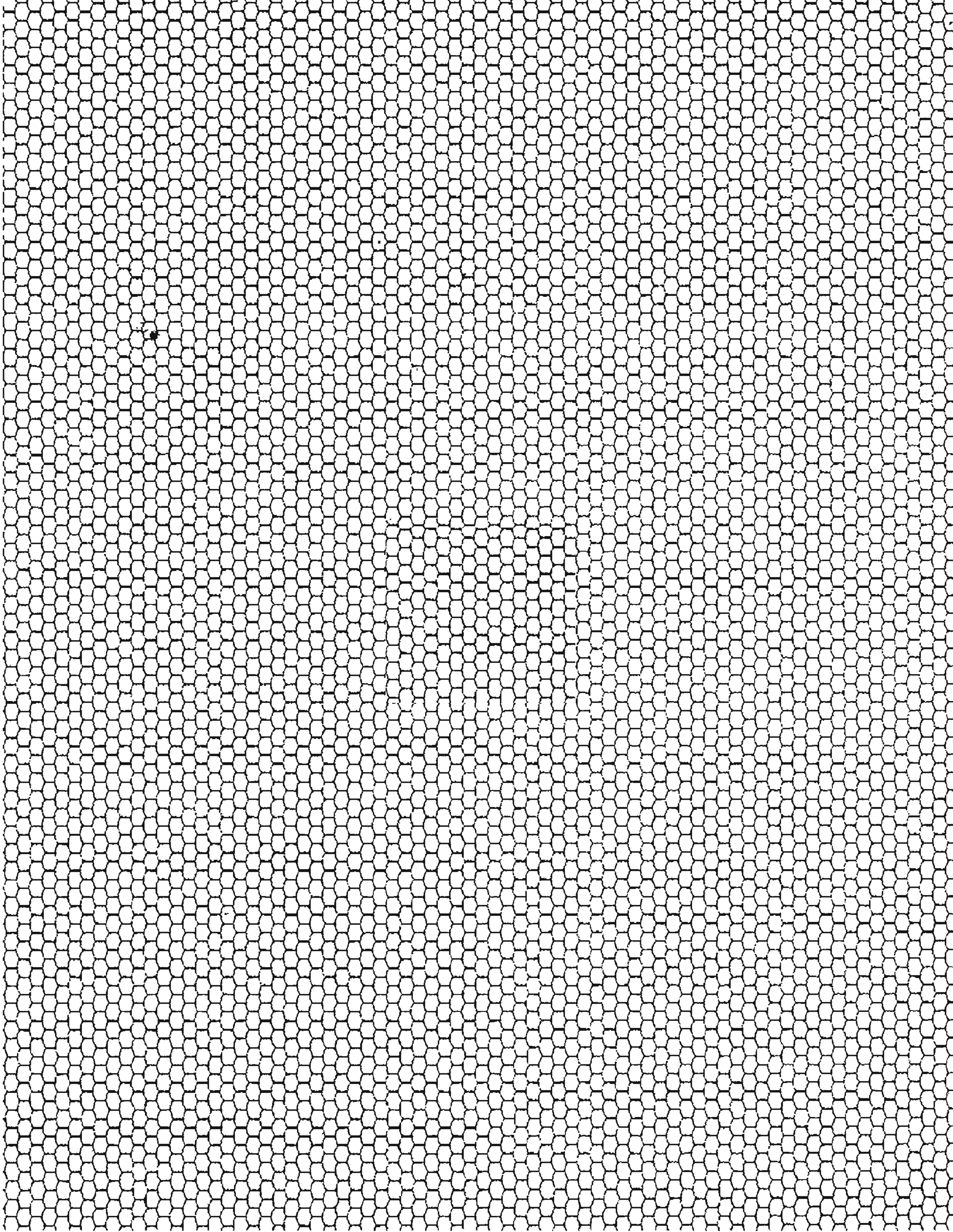
مراثي دوينو



راينر ماريا ريلكه

ترجمة : فؤاد رفقه

دار صادر



راينر ماريا ريلكه

مراثي دوينو

ترجمة

فؤاد رفقه



مَرائي دوينو

راينر ماريا ريلكه

مراثي دوينو

ترجمة
فؤاد رفقه

دار صادر



قصر دوينو القديم ، حيث بدأت تجربة المراثي
سنة ١٩١١-١٩١٢ .

المرثية الأولى

مَنْ ، إذا صرختُ ، يُسمعُني من مراتب الملائكة ؟
حتى لو ضمَّنى واحدُهم فجأةً إلى قلبه : أضمحلُّ
من وجوده الأقوى ، لأنّ الجمالَ لا شيء
سوى بدايةِ الرّعب الذي بالكاد نحتمله ،
ونحن نُعجَبُ به ، لأنّه في راحةٍ يأنَفُ
أن يُحطّمَنا . كلُّ ملاكٍ مُرعِب .
وهكذا أتماسك ، وأبتلعُ النداء المُعري
للتّنهدات القاتمة . آه ، إلى من نلجأ ؟
لا الملائكه ، ولا البشر ،
والحيوانات المتيقّظة تُحسّ تماماً
أنّنا لَسْنا في أمانٍ كبير
في العالم المألوف . ربّما بقيت لنا
شجرةٌ على المنحدَر ، شجرةٌ نراها كلَّ يوم ،

ولنا يبقى شارعُ الأمس ،
والأمانةُ الباهتة لعادةٍ طاب لها المقام عندنا فظلّت ولم ترحل .
آه ، والليل ، الليل عندما الرّيحُ المليئةُ بالفضاء
تأكل وجوهَنا ـ ، لمن لا يبقى
هذا المَتوقُ إليه ، ألخادعُ برِفْقٍ ،
والذي يَنتظر القلبَ الموحشَ ـ المُتعَب .
هل هو على العشّاق أ خفّ ؟
آه ، بعضُهم مع بعضٍ يُخفون مصيرَهم .
ألا تعرف هذا حتى الآن ؟ أطلقِ الفراغَ من ذراعَيك إلى
الفضاءات التي نتنفّسها ، فربّما تشعر العصافير
بالهواء المُتَّسِع في طيرانٍ أكثر حميميّة .

بَلى ، فصولُ الرّبيع في حاجةٍ إليكَ ، ونجومٌ ترقَّبتْكَ عساك
تشعر بها .
وصوتُكَ انطلقتْ موجةٌ من الماضي ،
أو عندما عبرتَ بنافذةٍ مفتوحة
أسلم نفسَه كمانٌ لِتسمعَه . هذا كلّه كان رسالة ،

فهل استجبتَ ؟ ألم تكنْ دائماً
مُتَنَّتاً بالانتظار ، كما لو كلُّ شيء
يُعلن حبيبة لك ؟ (لكنْ أين تُحبِّئها
والأفكارُ العربية الكبيرة عندك
تأتي وتروح ، وغالباً تَبيت في الليل معك ؟)
عندما يُصيبك الحنين ، غنِّ العاشقين ،
فأحاسيسُهم الشّهيرة لا تزال بعيدةَ كفايةً عن الخلود ،
أولئكَ الذين تكاد تَحسدهم ، أولئك المهجورون
الذين وجدتَهم أحبَّ إليك مِمَّن كان حبُّهم مكتفياً . أبداً
من جديدٍ عاوِدِالمديح الذي لا وصول إليه ،
تَذكّرْ : ألبطلُ يستمرّ ، حتى انهيارُهُ
لم يكنْ سوى حجَّةٍ لبقائه : لولادته الأخيرة .
غير أنّ العاشقين تستعيدهم الطبيعة المُنهَكة
كما لو أنّ القوى تُعْوِزها لِخلْقهم ثانية .
هل فكّرتَ كفايةً بكاسبارا ستامبا ،
لَعلَّ فتاةً أَفلتَ منها الحبيب
تُحسّ بالتجربةِ القاسية

لهذه العاشقة وتقول : لو كنتُ مثلَها ؟

أما حان لأقدمِ أوجاعنا
أن تثمر لنا أكثر ؟ أما حان الوقت ،
بِحُبٍّ ، أن نتحرّر من الحبيب
ومُرتجفين نصمد :
كما السّهمُ يَصمد في الوتَرِ مُستَجمعاً ذاتَه في الانطلاق
حتى يتخطّى ذاته ؟ لأنّ البقاءَ في لا ـ مكان .
أصواتٌ ، أصوات . أصغِ ، أيّها القلب
إصغاءً لا يقوى عليه سوى القدّيسين :
عندما رَفَعهم النّداءُ العظيم عن الأرض ،
غير أنّهم تابعوا الرّكوع ـ شيءٌ مستحيل ـ
ولم يَنتبهوا :
هكذا كان إصغاؤهم . وهذا أبداً لا يعني
أنّك تحتمل صوتَ الله ، فهذا غيرُ ممكن ،
لكنْ أصغِ إلى هبوبِ الرّيح ،
إلى الأخبارِ المستمرّة التي تصعد من السّكينة ،

همسٌ بحيوِك الآن من الموتى الصغار .
فأينما دخلتَ ، ألم حدّثكَ مصيرُهم بهدوء
في كنائس روما ونابولي ؟
أو كتابةٌ منقوشة ، في جلالٍ ارتفعت كرسالةٍ إليك ،
كما اللوحة في سانتا ماريا فورموزا حديثاً ؟
ما يريدون منّي ؟ بهدوء عليّ أن أمحو
مظهرَ الظّلم الذي يعوق قليلاً الحركة النقيّة لأرواحهم
أحيانا .

حقّا ، غريبٌ ألاّ نسكنَ الأرض بَعْدُ ،
ألاّ نمارسَ عاداتٍ بالكاد تعلّمناها ،
ألاّ نُعطي الورودَ وأشياء أخرى واعدةً
معنى مستقبلٍ بشريّ ،
وألاّ نظلّ ، كما كنّا ، في يدين خائفتين بلا نهاية ،
وأن نرمي بأسمائنا جانباً كلعبةٍ مُحَطَّمة .
غريبٌ ألاّ نستمرّ برغباتنا . غريبٌ أن نرى العلائقَ كلَّها في
الفضاء محلولة تنبعثر .

وحالةُ الموت مُتْعِبة
ومليئةٌ بالتّعويض قبل أن يتحسّس المرءُ تدريجياً
قليلاً من الأبديّة . غير أنّ الأحياءَ جميعَهم
يُخطئون عندما بشدّةٍ يُفرِّقون .
فالملائكةُ (يرى البعض) غالباً يجهلون إنْ كانوا يطوفون
بين الأحياء أو الموتى . فالتيّار الأبديّ
دائماً يجرف جميعَ العصور بين العالَمين
بصوتٍ أقوى من أصواتها في كِلَيهما .

وأخيراً ، لم يعودوا في حاجةٍ إلينا الذين تركونا قبل أوانهم ؟
فالانسان بِرفقٍ يهجر الأرضيّ
كما في رِقّةٍ يَهجر صدرَ أمّه .
ولكنْ نحن الذين في حاجة إلى أسرارٍ كبيرة كهذه ،
نحن الذين لنا الحزنُ منبعٌ
لتقدّم سعيد : هل نقدر أن نستمرّ بدونهم ؟
هل الأسطورة عبثاً : أنّه مرّةً بالنّحيب على لينوس
نغمٌ أوّلٌ جريءٌ خرق اليباسَ الجافّ

وفي الفضاء الخائف الذي تركه فجأةً فنىً يكاد يكون إلهيّاً
أحسّ الفراغُ بتلك الرّعشةِ التي الآن
تسحرنا ، تُعزّينا وتُعيننا ؟

المرثية الثانية

كلٌّ ملاكٍ مُرعب ، ومع هذا ،
عارفاً إيّاكِ ، أعنّيكِ ، يا عصافيرَ النّفْس
شبْهَ المُميتة . اين أيّام طوبيا ،
حين وقف الأكثرُهم بريقاً عند باب البيت البسيط
قليلاً مُموَّهاً للسّفر ، وهكذا غيرُ مُخيف ،
(فتىً للفتى الذي تطلّع خارجاً مستطلعا) .
لو ينزل الملاكُ الكسرُ الآن ، الملاكُ الخطرُ من وراء النّجوم
خطوة إلى هنا :
خافقا بقوّةٍ بمضى علينا القلب من أسم ؟

نجاحاتٌ باكرة ، أنتم يا مُدَلَّلِيّ الخلْق ،
سلاسلُ المرتفعات ، ذرى وردية في فجر
البدايات ، -- لقاحُ الألوهة المبرعمة ،

مفاصلُ النّور ، ممراتٌ ، دَرَجاتٌ ، عروشٌ ،
فضاءاتٌ من الوحود الحوهريّ ، دروعٌ من السّعادة ،
هديرٌ من الشّعور العاصف المُنتشي ، وفجأةً ، على حِدةٍ ،
مرايا : المرايا التي تعيد إلى ملامحهم
جمالَهم الفائض عنهم .

لكنْ نحن ، عندما نشعر نتبخّر ،
آه ، نحن نلهث أنفسَنا خارجاً وبعيداً ، من جذوةٍ إلى
جذوةٍ
نُعطي رائحة أخفّ . حَقّاً ، يقول لنا واحدٌ :

«بَلى ، أنتَ في دمي ، وهذه الغرفة ، هذا الربيع
مليىء بك» . . . فما الفائدة ، هو لا يقدر أن يُبقنا ،
نحن نزول فيه وحوله ، والأشياءُ الجميلة
آه ، مَنْ يُبقيها ؟ دائماً على وجهها
يبين مظهرٌ خادع ويزول . كالنّدى من عشبِ الصّباح
يتركنا ما لَنا ، وكالحرارةِ من طعامٍ ساخن .

آه ، أيّتها الابتسامة ، إلى أين ؟ آه ، أيّها النّظر إلى فوق :
يا موجةَ القلب الهاربة والدّافئة الجديدة ــ ،
وَيلي : هذا ما نحن . أما في الفضاء الكلّي
الذي ننحلّ فيه طَعْمُنا ؟ وهل يُمسك الملائكةُ
بالفعلِ فقط بما لهم ، بما يفيض عنهم ،
أو أحياناً ، كما لو غفلةً منهم ،
قليلٌ من وجودنا عندهم ؟
وهل نحن في ملامحهم بالكادِ ممتزجون
كالغموض في وجوه النّساء الحاملات ؟
هم لا يعون ذلك

في رجوعهم المحموم إلى ذواتهم . (كيف يعون ذلك ؟)
والعشّاق ، لو عرفوا
لَقالوا أشياءَ عجيبةً في هواء الليل ، لأنّ كلّ شيىء
يبدو أنّه يَحجبنا . أنظرْ ، الأشجار موجودة ، والبيوت
التي نسكنها لم تزلْ قائمة . نحن وَحْدَنا
نعبر كلَّ شيىء كهواءٍ خلف هواء ،

وكلّ شييء مُتَّفق على أن يكون لنا ساكتاً ، ربّما من العار
إلى حدٍّ ما ، وإلى حدٍّ ، من رجاء لا يُقال .

أيـّها العشّاق ، أنتم أيـّها المكتَفون بعضُكم مع بعض ،
أسألكم عنّا . كلٌّ واحدٍ منكم يُمسك بالآخر ، فهل
لديكم براهين ؟
أنظروا ، يَحدث أن يديّ تستعران ببعضهما ،
أو أنّ وجهي المتآكل
يحتمي فيهما ، وهذا يمنحني قليلا
من الحسّ ، ولكنْ من يجرأ أن يكون فقط لذلك ؟
ولكن أنتم ، يا من تكبرون ، كلٌّ واحدٍ في نشوة الآخر ،
حتى في امتلائه يتوسّل : « كفى » ، أنتم الذين في أيدي
بعضكم البعض تصيرون أكثر غنىً من فصول
العنب ،
أنتم ، يا من تزولون أحياناً لأنّ الآخر يقوى :
أنتم أسألكم عنّا . أنا أعرف ،

أنتم تتلامسون بهذه السّعادة ، لأنّ المداعبة تستمرّ ،
لأنّ المكانَ الذي تغطّونه ،
أيّها الأرقّاء ، لايزول ، لأنّكم فيه
تتحسّسون الدّيمومةَ النقيّة . وهكذا تَعِدون أنفسَكم
بالأبديّة ، تقريباً ، من العناق . ومع هذا ، عندما اجترتم
رعْبَ النظرات الأولى والحنينَ على النّافذة
والنّزهةَ الأولى معاً مرّةً في الحديقة :
أيّها العشّاق ، هل بقيتم أنفسَكم ؟ عندما ترفعون بعضكم
بعضاً
إلى الشّفاه : كأساً إلى كأس :
آه ، كيف يُهمل الشاربُ عند ذاك بغرابةٍ فِعْلَه .

ألم يدهشكم في نقوشِ الأعمدةِ اليونانية
حَذَرُ الايماء البشريّ ؟ ألم يكنِ الحبُّ والفراق
خفيفاً على الأكتاف كما لو أنّه من مادّةٍ
غير مادّتنا ؟ تذكّروا الأيدي
كيف تستريح بلا ثِقلٍ رَغْمَ القوّةِ في الأبدان .

هؤلاء المتحكّمون بأنفسهم عرفوا : « إلى هنا لنا أن ندهب ،
لَنا أن نلامسَ بعضنا هكذا ، بأكثر قوة تضغط علينا الآلهة .
غير أنّ هذا شأن الآلهة .»
لو نعثر أيضاً على مكانٍ ضيّقٍ بشريّ ، ملمومٍ ونقيّ ،
على أرضٍ لنا مُثمرة بين النّهر والصّخرة ؛ لأنّ الفلكَ
أبداً يتخطّانا كما تخطّى أولئك الأخرين ، ولا يعود في
مقدورنا
أن نلاحقه في الصّوَر التي نهدّئه ،
ولا في أجسادٍ إلهيّة فيها يصير أكثر اعتدالاً .

المرثية الثالثة

أن تُعَنّي الحبيبةَ شيىء ، وشيىء آخر ، آه ،
أن تغنّي ذلك النّهرَ ـ الالهَ من الدّم ، النّهرَ الخفيَّ المجرم ،
هذا الذي تعرفه هي من بعيد : عشيقَها الفتيّ ، ما يعرف هو
عن سيّد الشّهوة الذي عالباً من المعتزل ،
قبل أن تهدّئه هي ، وأحياناً كما لو غير موجودة ،
آه ، من أيّ محهولٍ يَقطر ،
يرفع الرّأسَ داعياً اللّيلَ إلى هديرٍ بلا حدود .
آه ، من نبتون الدّم ، آهٍ ، من عصاه المثلّثة الرّأس المخيفة .
آهٍ من ريحِ صدره الدّاكنة الطّالعة من صَدَفَةٍ ملْتوية ،
أصغِ إلى الليل كيف يتجوّف وينخفض . وأنتِ ، أيتّها
النّجوم ،
ألا تطلع منكِ رغبةُ العاشق لوجهِ حبيبته ؟
اليست رؤاه العميقة في وجهها النقيّ

آتبةً من النّجم النقيّ ؟

ما أنتِ ، آهٍ ما أنتِ يا أمَّه
شددتِ قوسَ حاجبه إلى هكذا ترفٍّ ،
وليس لكِ ، أيّتها البنتُ التي نُحسّه ، ليس لكِ
تقوّستْ شفتاه لتعبير أكثرَ غنىً .
هل تظنّين حقاً أنّ خطوكِ الرّقيق
يهزّه بهذه الشدّة ، أنتِ ، أيّتها المتحرّكة كأنسام الفجر ؟
حقّاً إنّكِ أخفتِ قلبه . لكن مخاوف أكثر قدَماً
تدافعتْ فيه عند تلك الهزّة الشّعوريّة .
اهتفي له . . . إنّكِ لا تهتفين له كفاية لتعديه عن محيطه
الدّاكن .

حقّاً إنّه يريد . إنّه يُفلت منه ، في راحةٍ
يعوّد نَفْسَه على قلبكِ الحميمي ، يأخذ ويبدأ نَفْسَه .
لكنْ ، هل هو الذي بدأ نفسه حقّاً ؟
أيّتها الأمّ ، أنتِ التي عَملْتِهِ صغيراً ، أنتِ التي بدأتِه .

لكِ كان جديداً ، أنتِ أحببتِ على العيون الجديدة
العالمَ الصّديق ، وحَميتِه من العالم الغريب .
آه ، أين هي الأعوام التي فيها بكلّ سلطة
حجبتِ عنه بشكلكِ النّحيل الظّلامَ اللانهائيَّ الهائج ؟
حجبتِ عنه الكثير هكذا . الغرفةُ المُريبةُ ليلاً
جَعلتِها آمنةً ، ومن قلبكِ المليء بالأمان
مزجتِ فضاءه الليليَّ بفضاء أكثر أنْساً .
لا في الظّلمة ، كلاّ ، بلْ في وجودكِ الأقرب
وضعتِ القنديلَ المُضاءَ وأنار ، كما لو من صداقة .
ما من خربشةٍ إلاّ أوضحْتِها باسمةً
كما لو عرفتِ من زمان متى أرضُ البيتِ الخشبيّة
هكذا تفعل . . .
وهو أصغى واطمأنّ . هكذا في رقّةٍ فَعل حضورُك الكثير .
إلى خلفِ الخزانة تراجع قَدَرُه الطويل لابساً معطفاً ، وفي
طيّات السّتار
تناسب غدُهُ القلق ، غدُهُ الذي قليلاً تأخّر .

أمّا هو ، هو المطمئنّ ، كيف رقد تحت جفونٍ ناعسةٍ
مازجاً حلاوةَ شكلكِ الخفيف
برقادٍ قصير حفيف : بدا محميّاً . . . لكنْ داخليّاً :
مَنْ قدرَ أن يقاوم وأن يمنع في داخله طوَفان الأصل ؟
آه ، لم يكن أيُّ حَذَرٍ في النّائم . نائمٌ
لكنّه حالم ، لكنّه محموم : كيف أطلق نَفْسه !
هو الجديدُ الخائف ، كيف بدأ يَتَشربك
بالغصون المتشابكة للحَدَث الدّاخليّ
مدفوعاً إلى النّموذجي ، إلى النموّ الخانق ،
وإلى أشكالٍ حيوانية مفترسة . كيف أسلم نَفْسه ـــ ،
أحبّ .
أحبّ عالمه الدّاخليّ ، برّيّتَه الدّاخليّة ،
هذه الغابةُ البالغةُ القِدَم فيه ، على جذوعها السّاقطة الخرساء
وقف قلبه أخضرَ الضّوء . أحبّ .
تركها ، وخرج من جذوره إلى بدايةٍ أوّليّة عنيفة
متخطّياً بهذا ولادتَه الصغيرة . بمحبّةٍ
هبط في الدّم الأكثر قِدَماً ، في الوديان السّحيقة

حيث المُرعبُ ما زال شبعان من الآباء ،
وكلّ مرعبٍ عرفه ، أومأ إليه ، كما لو في تفاهم .
بَلى ، ألمُرعب ابتسم ، نادراً
ما ابتسمتِ بهذه الرّقّة ، أيّتها الأمّ .
كيف لا يحبّ ما تبسّم له . قَبْلَكِ أحبّه ،
لأنّكِ عندما حبلْتِ به
كان محلولاً في الماء الذي يجعل البذرةَ خفيفة .

أنظرْ ، نحن لا نحبّ كالزّهور
لسنةٍ واحدة . عندما نُحبّ ، عصيرٌ بالغُ القِدَم
يصعد في سواعدنا . آه ، أيّتها الفتاة ،
هذا : ما أحببنا في داخلنا لم يكن شيئاً واحداً ، واحداً مُقبلاً ،
بل التخمّر بأعدادٍ لا تُحصى . لم نحبّ طفلاً بِمُفرَده ،
لكنِ الآباءَ الذين في أعماقنا
كخرائب جبليّة ، بل مجرى النّهر الجافّ
لأمّهاتٍ قديمات ، بل الأراضي الصّامتة
تحت القَدَر المغيّم أو النّقيّ :

هدا كلّه كان سابقاً لكِ ، أيّتها الفتاة .

وأنتِ نَفْسُكِ ما نعرفين ؟ أنتِ أثرتِ
زمناً بالغَ القِدَم في العاشق . أيّة أحاسيس
تدفّقت مں كائناتٍ زائلة ! وكم من امرأةٍ
كرهتْكِ هناك . وكم من رجلٍ صَلْبٍ
أثرتِ في عروق الفتى ؟
صغارٌ موتى أرادوا الوصولَ إليكِ . . . آه ، هدوء ، هدوء ،
إفعلي شيئاً حسناً أمامه ، عملاً يوميّاً أكيداً —حذيه قريباً
من الحديقة
وامنحيه قدر اللّيالي المتفوّقةَ ،
أمسكي به . . . .

المرثية الرابعة

آه ، يا سحرَ الحياة ، آه ، متى يَحين الشّتاء ؟
نحن لسنا متوافقين ، لسنا كطيور الرّحيل
بالحدْس عارفين . مسبوقين ومتأخّرين
ندفع بأنفسنا إلى الرّياح فجأةً
وعلى حوضٍ بلا شفقةٍ نسقط .
الإزهار والذّبول نَعيهما في وقتٍ واحد ،
وفي مكانٍ ما لا تزال الأسود تسير
وتجهل كلَّ ضعفٍ وهي في عزّها .

ولكن نحن ، حين نُزمع على شيء تماماً
نُحسّ بقيمةِ شيء آخر . العداءُ
أوّل ما نشعر به . ألا يقترب العشّاقُ دائماً
من التّخوم ، واحدُهم مع الآخر ،

ويَعِدون أنفسَهم بالمسافة والصيّد والوطن ؟

كما لو في رَسْمةٍ سريعة ، ينهيّأ في مشقّةٍ
أساس من التّناقض حتى نرى في صورةٍ أوضح ،
نحن الذين لا نعرف من معالم الشّعور
إلاّ سطحَه الخارجيّ .
مَنْ لم يقفْ خائفاً أمام ستار قلبه ؟
السّتار ارتفع : والمنهد وداع .
هَيِّنٌ إدراكُ ذلك . الحديقة المعروفة
اهتزّت قليلاً : ثمّ جاء الرّاقص أولاً ،
ليس هو ، يَكفي . ومع أنـّه في خفّةٍ يتحرّك
فهو مموَّهٌ بلباسه ، يتحوّل إلى بورجوازي

وإلى منزله يدخل من المطبخ .
لا أريد هذه الأقنعة نْصفَ الملآنة ،
أفضّل اللّعبة . إنـّها ملأى .
سأحتمل الجلْدَ المحشوَّ والشّريط

ووجهَها الظاهريّ . هنا . أنا أنتظر .
حتى لو انطفأت الأنوار ،
وقيل لي : «هذا كلّ شيىء» ،
حتى لو من المسرح جاء الفراغُ من السّمةِ الرّماديّة ،
ومن آبائي السّاكتين لم يَعُدْ أحدٌ معي ، لا امرأة ،
ولا حتى الولد بعينه السّمراء التي تُحْوِل :
مع هذا ، سأبقى . فهناك أبداً شيىء للمشاهدة .

ألستُ على حقّ ؟ أنتَ ، يا من تمرمرتَ
في الحياة بعد ما ذقتَ حياتي ، أنتَ يا أبي ،
ذقتَ ذلك النّقيعَ الأوّل لِقَدَري الكئيب ،
وبينما كنتُ أنمو ، كنتَ تذوقه في استمرار ،
وقلقاً لطعمةِ مستقبلٍ غريب
تفحّصتَ نظرتي الغائمة ـ
أنت الذي ، يا أبي ، منذ أن متّ ، غالباً
تُحسّ بالخوف عليّ ، عميقاً في رجائي ،

ولمصيري القليل تَمنحُ الرّاحة ، ممالكَ من الرّاحة التي
أسيادها الموتى .
ألستُ على حقّ ؟ وأنتم ، ألستُ على حقّ
أنتم ، يا من أحببتموني للبداية القليلة
من حبّي لكم ، الحبّ الذي كنتُ دائماً أنحنّه
لأنّ الفضاءَ في ملامحكم ،
الفضاءَ الذي أحببتُ ، صار فضاءً كونيّا
وفيه ما عدتم تظهرون . . . . وعندما أشعر بالرّغبه
في أن أنظرَ أمام مسرحِ اللّعبة ، كلاّ ،
بل أحدّق مليّاً إليها ، وحتى في النّهاية بعود التّوازن إلى
مشاهدتي ،
على ملاكٍ أن يَظهرَ في شكلِ لاعبٍ ويرفع الجلود المحشوّة

ملاكٌ ولعْبة . وأخيراً التمثيل الحقيقي .
عندئذٍ يتلاقى ما فصلْناه دائماً بوجودنا .
فيطلع من فصولنا
دورةُ التحوّلِ بكاملها .

وفوقنا هناك يَلعب الملاكُ عندئذٍ .
تطلّعْ ، أما على الموتى أن يظنّوا
أنّ ما نقومُ به هنا عبرُ خفيفيّ ومليءٌ بالتّظاهر ،
حيثُ لا شيء ذاته بالفعل ، آه ، يا ساعاتِ الطفولة ،
حين كان وراءَ الأشكال أكثر من الماضي
وما كان أمامَنا لم يكنِ المستقبل

حقّاً ، إنّنا كبُرنا ، وأحياناً
بإلحاحٍ أردنا أن نكبر ،
جزئيّاً من أجْلِ أولئك الذين لم يعدْ لديهم
سوى الكِبَر
وفي وحْدتنا كنّا نسلّي فقط بما يدوم ،
وبين العالم واللّعبة كنّا نقف
في مكانٍ مُهيّأ منذ البدء
لحدثٍ نقيّ .

مَنْ يدلّ الطّفلَ إلى ما هو في الحقيقة ؟

مَن يضعه في النّجوم ، وفي يده
يُعطيه مقياسَ المسافة ؟
مَنْ يجعل موتَ الصّغار
من الخبز الرّماديّ الذي يقسو ـ
أو يتركه في الفم المستدير
كَعَجْوةٍ تفّاحةٍ جميلة خانقة ؟
هَيّنٌ أن نفهم القَتَلة . لكن هذا :
أن نحتوي الموت ، الموتَ بكامله ، حتى قبل الحياة ،
برفقٍ أن نحتويه ونرضى ،
شيىء لا يوصف .



بابلو بيكاسو البهلوانيون (Saltimbanques)

المرثية الخامسة

إلى السيّدة هيرثا كوينغ

لكن ، قلْ لي ، مَنْ أولئكَ المسافرون أبداً ،
هؤلاءِ الذين همْ قليلاً أكثر هَرَباً منّا ،
هؤلاءِ الذين منذ البداية
(آه ، لأجل مَنْ) بقوّةٍ تدفعهم إرادةٌ لا ترتوي ؟
تَدْفعهم ، تَلْويهم ، تَقْذفهم وتؤرْجحهم
تَطْرحهم وتَلْتَقطهم من جديد ،
كأنّهم يسقطون من هواءٍ مُزَيَّتٍ أملس
على بساطٍ رقيقٍ متآكل
من قَفْزِهم الأبديّ .
هذا البساط الضّائع في الكون .
مُلتصقٌ كلزْقَةٍ
كما لو أطرافُ السّماء هناك

آلمتِ الأرض .
وبالكادِ هناك ،
مُنْتَصباً يظهر هناك :
الوجودُ بِحرْفه الأوّل الكبير . . . .
حتى أقوى الرّجال تُدحرجهم ثانيةً للتّسلية
القبضةُ الدّائمةُ القدوم
كما يفعل أوغسطس القويّ
بصحنٍ من تَنَك على المائدة .

آه ، وَحَولَ هذا المركز
وردةُ المشاهدة :
تُزهر وتسقط أوراقها .
وحول هذا السّاق ،
حول هذه المدقّة التي تُلَقِّح ذاتها
منتجةً ثمرةَ الضّجرِ الخادعةَ — الضّجر الذي لا يَعونه ،
والمبتسمُ ظاهريّاً قليلاً
ومُضيءٌ بسطحٍ بالغِ الرقّة .

وهناك الرّافعةُ الذّابلة المتجعّدة ،
رجلٌ عجوز ففط ما يزال يُطَبّل
داخلاً في جلْده القويّ
كما لو ضمّ جلْدُه رجْلَين ،
أحدهُما يَرقد من زمانٍ في المقبرة
بينما هذا الواحد عاش بعده أصمّ ،
وأحياناً مُشَربكاً في جلْدِهِ المترمّل .

لكنّ الفتى ، الرّجل ، كما لو أنّه ابنُ رَقَبة
وراهبة : صَلْبٌ ومليىء بالعضلات والبراءة .

آه ، أنتم ،
عندما كان الألم لا يزال صغيراً ، وآنذاك حسبتموه كلعبةٍ ،
في إحدى نقاهاته الطويلة . . .

وأنتَ ، يا من تسقط بعنفٍ
سقوطاً تعرفه الثّمار الفجّة وحدّها ،

تسقط يوميّاً مئةَ مرّة
من شجرةِ الحركةِ المُشتَرَكة
(الشّجرة التي بأسرعَ من الماء ،
وفي لحظاتٍ قليلة
تعرف الرّبيع والصّيف والخريف)
تسقط وتلتطم بالقبر :
وأحياناً ، في هنيهةٍ خاطفة ،
دفءٌ يَتَسرَّب من وجهكَ إلى أمّكَ النّادرة الرّقّة .
لكنّها على جسدكَ تضيع ،
الجسدُ الذي سطحهُ يَستهلك الوجهَ الخجول ،
الوجهَ القليل التجربة . . .
وثانيةً يُصَفّق الرّجلُ بيدَيه لتقفز ،
وقبل أن يصير الألم جَنْبَ قلبكَ الدّائمِ السّرعة أكثرَ وضوحاً
تَشعر بحريقِ نَعْلِ القَدَم
سابقاً ذلك الألم الآخر ،
ومطارداً في العيون دمعاتٍ جسديّةً سريعة ،

ومع هذا ، دون سبب ، الابتسامة . . . . .
أيّها الملاك : آه ، خُذْها ، اقتلِعْها
عشبةَ الشّفاء ذات الزّهرة الصغيرة
واصنعْ لها إناءً واحفظْها :
ضَعْها بين الأفراح التي لم تنفتحْ لنا بعدُ .
في إبريقٍ ظريفٍ مجِّدْها بنَقْشٍ فَخْمٍ زَهْريّ :
Subrisio Saltat

عندئذٍ أنت ، أيّها الحبيب ،
أنتَ ، يا مَنْ في خَرَسٍ
تتخطّاه أعمقُ الأفراح .
ربّما كانت شراشيبكَ الملوّنة سعيدةً من أجْلك ،
أو على صدركَ القويّ الفتيّ
يَشعر الحريرُ المعدنيّ الأخضر
بِغنْجٍ لا – نهائي ، ولا يُعْوِزه شيىءٌ آخر
وأنتِ ، يا ثمرةَ الرّاحةِ الظّاهرة للجميع بين الأكتاف ،
ومُلقاةٌ أبداً في تعادُلِ الميزان المرتجف ،

أين ، آه ، أين المكان ـ أحمله في القلب ـ
حيث لم يكونوا بعد قادرين ،
فسقط بعضهم عن بعض
كحيوانات لم تتجامع في طريقة صحيحة ،
حيث الأحمال لم تزل ثقيلة
وحيث من عِصيّهم الدائرة عبثا
لم تزلْ الصّحون تترنح .

وفجأةً في هذا المكان المتعَب ،
فجأة في المكان الذي لا يوصف
حيث القليلُ النّقيّ يتحول في صورةٍ لا تدرك ،
يَقفز ويتحوّل إلى الكثير الفارغ ،
حيث الحسابُ المتعدد ـ ...
بلا عدد يصير .

أيّتها الأماكن ،
آه ، أيّتها المكان في باريس .

يا مكان المشاهدة اللا ـ نهائية ،
حيث بائعة القبّعات السيّدة لاموت
تحول وتطوف طرقات الأرض القلقة .
هذه الشّرائط اللا ـ نهائية
ومنها تصنع عقدا وكشاكش وزهورا ووريدات
وثمارا اصطناعيّة ـ كلها مصبوغة ـ
لقبّعات القدَر الشّتائية الرّخيصة

أيّها الملاك : لو يوجد مكانٌ لا نعرفه .
وهناك ، على بساط لا يوصف
لو أظهر العشّاق ما يفوق طاقتهم هنا :
الصّوَرَ الرّفيعةَ الجريئة لخفقان القلب
وأبراج الرّعشة ،
والسّلالم التي بلا أرض
بعضُها يتّكىء على بعض في ارتجاف ـ
لو تمكّنوا من هذا أمام المتفرّجين ،
أمام الموتى الصّامتين الذين لا عدد لهم :

ألا يَطرح الموتى ، عندئذٍ ، نقودَ السّعادة الأبديّة القيّمة
والأخيرة التي وفّروها وخبّأوها ، والتي لا نعرفها ،
لأثنَين حقيقةً يبتسمان أخيراً
على بساطٍ مكتفٍ ؟

المرثية السادسة

يا شجرةَ التّين ،
كم يَعني لي من زَمَنٍ
كيف تُزمعين تقريباً كُلّياً على الإزهار ،
وفي الثّمرةِ المسرعةِ إلى النّضوج
تدفعين بِسرِّكِ النّقيّ دون إعلان .
كأنبوبِ النّبعِ تَدفع جذوعُكِ الملويّةُ
العصيرَ نزولاً وصعوداً : فيَقْفز من نَومه
غيرَ مستيقظٍ تماماً إلى فَرحِ إنجازه الأحلى .
أنظرْ : كالإله في الأوزّة .

أمّا نحن فلا نتحرّك ،
آه ، يُفرِحُنا أن نُزْهر ،
وإلى الدّاخل المتأخّر لِثمرتِنا النّهائيّة

نصل معذورين .

في قلّةٍ يصعد زَخْمُ الفعلِ بهذه القوّة ،

حيث هم يقفون ويتوهّجون في امتلاء القلب

عندما الإعراءُ بالإزهار

كهواءِ ليلٍ ناعم

يُلامس عتوّةَ الفمِ والأهداب :

ربّما الأبطال ، والذين قَدَرُهم الرّحيل الباكر ،

أولئك الدين في شكلٍ مختلف يلوي عروقَهم الموتُ

الرّاعي لهم ،

هؤلاء يسقطون إلى هناك

سابقين ابتسامتَهم

كما تسبق الخيولُ المنطلقة في صوَرِ الكرنك

الهادئةِ المنخفضةِ الشّكلِ الملكَ المنتصر .

غريبٌ كم يقارب البطلُ الموتى الصّغار .

الثّباتُ لا يعنيه .

ظهورُه وجود .

أبداً ينطلق ويدخل الفَلَكَ المتحوّل لِخَطَره الدّائم .
هناك يجده القليلون .
غير أنّ القَدَرَ الذي عابساً يَسكتُ عنّا ،
القَدَر المنتعش فجأةً يُغنّيه
ويقذفه في عاصفةِ عالمه الهادر .
لا أسمع أحداً مثله .
دفعةً واحدةً تخترقني
نبْرتُه الدّاكنة في الهواء المتدفّق .

كم أودّ لو أحجُبُ نفسي عن الحنين :
آه ، لو كنتُ ، لو كنتُ فتىً ،
وحتى الآن ، لو بمقدوري أن أكون ،
وأجلسُ مستنداً على السّواعد المستقبليّة
وأقرأ شمشون ،
كيف أمُّه لم تحملْ شيئاً في الأوّل ،
لكنْ أخيراً ، كلّ شيىء .

ألم يكنْ فيكِ بطلاً ، أيّتها الأمّ ،

ألم يبدأ فيكِ هناك اختيارُه السّياديّ ؟
ألوفٌ تخمّروا في الرَّحم ، وتمنّوا لو يكونون هو .
ولكن انظرْ : هو استولى وترك ، اختار وقدر .
وعندما حطّم الأعمدة ، حدث هذا
لأنّه انفجرَ من عالمِ جسدكِ
إلى العالمِ الأضيَق
حيث واصلَ الاختيارَ والانجاز .
آه ، يا أمّهاتِ الأبطال !
آه ، يا منابعَ السّيول الجامحة !
أنتِ ، أيّتها المهاوي التي فيها
عالياً من طَرَفِ القلب
نادباتٍ سَقَطْنَ البناتُ ضحايا للإبن
لأن البطل لو اندفع في محطّات الحبّ
لَدَفَعَتْهُ كلُّ نبضةِ قلبٍ منذورةٍ له إلى الأمام ،
ومتجاوزاً يقف على طَرَفِ الابتسامات ، شكلٌ آخر .

المرثية السابعة

لا شكوى بعد الآن ، لا شكوى ،
الشّكوى التي تخطّاها الصّوت ،
ستكون طبيعةُ صُراخكَ ،
حقّاً ، في نقاوةٍ ستصرخ
كالعصفور حين يَرفعه الفصلُ الصّاعد
ناسياً تقريباً أنّه حيوان ضعيف ،
لا قلبٌ فقط يَقذفه الفصلُ في الضّياء ،
في السّماوات الدّاخليّة .
مثْلَه تودُّ لو تشكو ، لا أقلّ ـ
إلى حبيبةٍ غيرِ مرئيّة بَعْدُ تَشعر بكَ ،
حبيبةٍ ساكتةٍ يستيقظ فيها الجوابُ بطيئاً ،
وعند سماعها تدفأ ـ الرّفيقة المتّقدة لشعورك الجريء .

آه ، والرّبيع يشعر بذلك ـ ، فما من مكانٍ
إلاّ ويحمل نَبْرَةَ البُشرى ،
أوّلاً تلك النّغمة المستفسرة الصّغيرة
التي في سكينةٍ متصاعدة
يجعلها نهارٌ نقيٌّ مستجيب
أكثرَ صمتاً .
ثمّ الدّرجاتُ صعوداً ،
دَرَجاتُ النّداء حتى هيكلِ الغدِ الذي في الحلم ،
ثمّ المزغردة : النّافورة التي في اندفاعها إلى فوق
تتوقّع سقوطَها في لعبٍ من الوعود .
وبعد ذلك الصّيف !
لا صباحاتُ الصّيف كلّها فقط ، ولا فقط
كيف هذه إلى نهارٍ تتحوّل وتضيىء بالبداية .

لا النّهارات فقط ، النّهارات التي في رقّةٍ تُحيط بالزّهور ،
وإلى فوق ، تُحيط بالأشجار ذات الأشكال القويّة العنيفة .
ولا فقط وَرَعُ هذه القِوى المُتفتّقة ،

ولا الدّروب فقط ،
ولا المراعي في المساء فقط ،
ولا فقط الصّفاء المُتنفّس بعد عاصفةٍ متأخّرة ،
أو فقط النَّوم المُقترب والتأمّل في المساء . . . .
لكنِ اللّيالي أيضاً !
لكنْ ليالي الصّيف السّامية ،
لكنِ النّجوم ، نجومُ الأرض .
آه ، لو أموت ، وأعرفُها بلا نهاية ،
هذه النجّوم كلّها ، : فأنا كيف ، كيف ، كيف أنساها !

أنظرْ ، ها أنا دعوتُ الحبيبة ،
غير أنّها لن تجييء وحدَها ،
من قبورٍ ضعيفةٍ فتياتٌ يأتينَ ويقفْنَ ،
لأنيّ كيف أحصرُ ، كيف أحصرُ النّداء الذي أناديه ؟
الموتى ما زالوا أبداً يطلبون الأرض .
وأنتم ، أيّها الصّغار ، شيىء هنا نفهمه مرّةً لا غير
يساوي أشياء كثيرة .

لا تظنّوا القَدَر أكثر ممّا هو في طينةِ الطّفولة .
كيف تتخطّون الحبيبَ غالباً ،
لاهثين ، لاهثين بعد ركضٍ سعيد
إلى لا شيىء ، إلى الحرّيّة .
الوجود هنا رائع .
أنتُنّ ، يا صبايا ، عرفتُنّ هذا ،
أنتُنّ ، يا من ظاهريّاً بَدَوتُنّ بلا وجودٍ كمن غَرِق ــ ،
انتُنّ ، يا من في أسوأ أزقّةِ المدن
مَقَرَّحاتٌ ، مَعَرَّضاتٌ للزّبالة .
لأنّ كلّ واحدةٍ كانت لها ساعتُها ،
وربما ليست تماماًساعة ،
فتْرةٌ تكاد لا تُقاس بمقياسِ الزّمن بين بُرهَتَين ــ ،
كان لها وجود ،
كلّ شيىء ، عروقُها ملأى بالوجود .
غير أنّنا نحن في سهولةٍ نَنسى
ما لا يؤكّده الجارُ الضّاحك ولا يحسده .
نحن نريده أن يظهر ،

بينما السّعادةُ الأكثر ظهوراً
تَجعلنا نُحسّ بها أوّلاً
عندما نحوِّلُها داخليّاً .

في لا ــ مكان ، أيّتها الحبيبة
بصير العالم إلاّ في الدّاخل .
حياتُنا تزول في التحوّل .
ودائماً يصير الخارجيّ أقلّ .
حيث كان مرّةً بيتٌ دائم
تحلّ صُوَرٌ ذهنيّة تعترضنا ، صوَرٌ جاهزةٌ للتأمّل
كما لو أنـّها لم تزلْ في الدّماغ .
إن روح الزّمن تخلق لها مؤونةً كبيرةً من القوّة ،
مؤونةً لا شكلَ لها
كالطّاقةِ المتوتّرة التي تَستخرجها من كلّ شيىء .
هي لم تعدْ تعرف الهياكل ، نحن الآن
نُوفّر تبديدَ القلبِ في السّرّ .
بَلى ، حيث لا يزال هناك شيء يصمد ،

شيء له الصّلاةُ والخدمةُ والرّكوعُ
تماماً كما هو ـ ، يكون في اللامرئيّ .
كثيرون لا يَرَونه ، لكنْ دون أن يَجْنوا الفائدة
من بنائه داخليّاً بأعمدةٍ وأنصاب
في صورةٍ أعظم !

كلّ انعطافٍ غامضٍ في العالم يشتمل على من لا إرثَ لهم ،
لا الماضي يَخصّهم ، ولا الآتي القريب ،
لأنّ أقربَ شيىء يَظلّ بعيداً أيضاً عن البشر .
وهذا يجب ألاّ يُرْبكنا ، بل يقوّي فينا
الاحتفاظَ بالشّكل المعروف لَدَينا ـ .
هذا مرّةً صمد بين البشر ،
صَمَدَ وَسَط القَدَرِ الماحق ،
وَسَطَ عَدَمِ ـ المعرفة ـ إلى ـ أين ، صَمَدَ كشيىء له وجود ،
وانحنتْ نجوم إليه من سماواتٍ آمنة .

أيّها الملاك ، أنتَ أيضاً أدلّكَ عليه ، إنّه هناك !
في مدى بَصَرِكَ يقف أخيراً سالماً ، وفي النّهاية مُنتَصباً .

الأعمدة ، الأبراج ، أبو الهَول وركائزُ القبّةِ المرتفعة ،
رماديّة ، من مدينة تزول أو مدينةٍ غريبة .

الم يَكنْ هذا معجزة ؟
آه ، تَعجَّبْ ، أيّها الملاك ، لأنّنا نحن هذا كلّه ،
نحن ، آه ، أيّها الجبّار ، خبِّرْ أنّنا نحن الذين فعلنا هذا ،
فَنَفَسي غير كافٍ للمديح .
نحن لم نهملْ الفضاءات السّمحة ، فضاءاتِنا .
(كم يجب أن تكون مخيفةَ الاتّساع
لأنّ آلاف السّنين لم تجعلْها تفيض بأحاسيسنا) .-
لكنْ برجٌ ما كان كبيراً ، أليس صحيحاً ؟
آه ، أيّها الملاك ، هكذا هو كان ،
حتى بجانبكَ كان كبيراً .
كاندرائية تشارترسْ كانت كبيرة ،
والموسيقى وصلت إلى ما هو أبعد وتخطّتنا .
بَلى ، حتى العاشقة ، آه ، وحيدةً عند نافذةٍ في اللّيل . . .
ألم تصلْ إلى ركْبَتك ؟

لا تعتقدْ أنّني أشكو ،
أيّها الملاك ، حتى لو شكوتُ ، فأنتَ لا تجيىء ،
لأنّ ندائي أبداً مليىء بالانطلاق ،
وعكْسَ تيّارٍ قويّ كهذا لاتقدر أن تخطو .
كذراعٍ ممدودةٍ ندائي ،
وَيَدُها المفتوحةُ للأخذِ تبقى أمامكَ مفتوحةً
كمن يُدافع ويُنذر ،
أيّها البعيدُ عن الادراك ، بعيدٌ هناك .

المرثية الثامنة

إلى رودولف كاسنر

بِكلّ عيونه يرى الكائنُ الطبيعيّ المدى ،
غير أنّ عيونَنا ، كما لو معكوسة ،
تُحيط به ، بِمخرجه الحرّ ، كشِراك ،
وما في الخارج نعرفه فقط من عيون الحيوان ،
لأنّنا أبداً نُدير وجهَ الطّفل في صِغَرِه
ونُجبره على الالتفاتِ خلفيّاً
لرؤيةِ الأشكال ،
لا لرؤيةِ المدى العميق في وجه الحيوان .
إنّه حُرٌّ من الموت . وَحْدَنا نراه .
فالحيوانُ الحُرُّ دائماً نهايتُه وراءه
وأمامَه الله ،
وحين يتحرّك ، يتحرّك في الأبديّة تماماً كالينابيع .
فنحن لا نعرف أبداً ، ولا ليومٍ واحد ،

الفضاءَ النَّقيّ أمامَنا ،
الفضاءَ الذي فيه الزّهورُ تتفتّح بلا نهاية .
أبداً أمامَنا عالم .
ولا مرّةً لا ـ مكان بدون لا ـ شيء :
ذلك الصّفاء ، ذلك الطّبيعيّ
الذي يتنفّسه الانسان
وبلا نهايةٍ يَعرفه ولا يشتهيه .
فيه يُضيعُ الطّفلُ نفْسَه أحياناً في هدوء
حتى يَهزّه أحد .
أو أحدٌ بموت ويصيره .
لأنّ القريبَ من الموت لا يعود يرى الموت
وعبْرَه يُحَدّق ربّما بنظرةِ حيوانٍ كبيرة .
أما العشّاق
لولا وجودُ الآخر الذي يَحجب الرؤيه
فإنّهم يقتربون منه وَيَندَهشون . . .
كما لو في غفلةٍ ينفتح لهم ما وراءَ الآخر . . . .
لكنْ لا أحدٌ يقدر أن يتخطّى الآخر ،

ونائية يعود إليه العالم .

ومواجهين المخلوقاتِ أبدا نرى عليها انعكاسَ المدى

الذي يعتّم بنا ،

أو حيوانٌ أخرس يتطلّع علينا ومن خلالنا بهدوء ،

وهذا اسمه القدَر : في الجانب المقابل أن نكون

ولا شيء غير هذا ، ودائما في الجانب المقابل .

لو أنّ الحسّ الذي نملكه

موجود في الحيوان الواثق

الذي يتحرّك صوبَنا في جهة أخرى — ،

لخرجنا معه بهذه الحركة .

غير أن وجوده بالنّسبة إليه لا — نهائي ، ولا يُدرَك ،

ودون رؤية حالته . إنه نقيّ كنظرته .

وحيث نرى مستقبلاً ، يرى هو كلّ شيء

وذاته في كلّ شيء . وذاته في عافية .

ومع هذا ، في الحيوان اليقظ الدافيء

قلق كآبة كبيرة وثقلها .

لأنّ ما يَغمرُنا غالباً ـ الذّكرى ،
يُصيبه دائماً أيضاً ،
كأنّ ما يندفع إليه الانسانُ الآن
كان أقربَ فيما مضى ، أكثر صدْقاً ،
وصحْبَتُه رقيقةٌ بلا حدود .
كلُّ شيء هنا مسافة ، وآنذاك كان نَفَساً .
بعد الوطن الأوّل
يكون الثّاني له غامضاً ومتأرجحاً .
آه ، يا لَسعادةِ الكائن الصّغير
الذي أبداً يبقى في الرّحم الذي خَلَّفه !
آه ، هنيئاً للبعوضةِ التي تقفز أبداً في الدّاخل
حتى لو في عرْسِها : لأنّ الرّحم كلُّ شيء .
أنظرْ إلى العصفور نصف الواثق
الذي يعرف تقريباً كِلَيهما من البداية ،
كأنّه نفْسٌ إتروسكانيّة
من مَيتٍ احتضنه الفضاء
وهيأتُه المستريحة كغطاء .

وكم يكون مرتبكاً ذلك الطّالعُ من الرَّحم
الذي عليه أن يطير ،
فكأنّه خائف من نَفْسه
يَخرق الهواءَ في اعوِجاجٍ كَشِقٍّ في فنجان ،
هكذا يخرق الوطواطُ خَزَفَ المساء .

ونحن : في كلّ مكانٍ أبداً متفرِّجون ،
إلى الشّيء نلتفت ، لا خارجَه !
إنّه يملأنا . نُنظِّمه وينهار .
نُنظّمه من جديد ، وننهار أنفُسُنا .

مَن الذي أدارَنا هكذا ، أنّنا نحن
وما نقوم به أيضاً في سلوكِ من يرحل ؟
كما يَقفُ هو على التّلّ الأخير الذي يُريه واديه مرّةً أخيرة
يلتفت ، يتوقّف ويمكث ،
هكذا نعيش ، ودائماً في وداع .

المرثية التاسعة

لماذا ، عندما مدّةُ الوجودِ يُمكن أن تمضي كما الغار ،
قليلاً أكثر دكنةً من كلّ شيىء أخضر ،
مع موجاتٍ دقيقة
على طَرَفِ كلّ وَرَقةٍ (كابتسامة ريح) ـ لماذا ، إذاً ،
علينا أن نكون بَشَراً
ومُجتنبين القَدَر ، نحنُّ إلى القَدَر ؟

آه ، لا لأنّ السّعادةَ موجودة ،
هذه الفائدةُ الفجّةُ لخسارةٍ قريبة .
ولا من الفضول ،
أو لِمرانِ القلب الذي يُمكن أن يكون في الغار أيضاً . . ..

لكنْ لأنّ الوجودَ هنا شيىء كثير ،

ولأنّ كلّ ما هنا ، هذا الذي يزول ،
يبدو في حاجةٍ إلينا ،
وفي غرابةٍ يَهمّنا ، نحن الأكثر زوالاً .
كلّ شيء مرّةً واحدة ،
فقط مرّةً واحدة ،
مرّةً واحدة لا أكثر ،
ونحن كذلك مرّةً واحدة ،
أبداً لا مرّةً ثانية .
لكنْ أن نكون هذه المرّة الواحدة
حتى ولو مرّةً واحدة فقط :
على الأرض أن نكون ، يبدو أنّها لا تُلغى .

وهكذا نُجهد أنفسَنا ونريد أن نُنجزَها ،
نريد أن نحتويها في أيادينا البسيطة ،
في نَظَرٍ فائض ، وفي قلبٍ صامت .
نريد أن نصيرَها . لمن نُعطيها ؟
نَوَدُّ لو نحتفظ بها للأبد . . . . . . آه ، إلى الجانب الآخر .

وَيْلي ، ما يأخذ الانسان إلى هناك ؟
لا المشاهدَة التي يتعلّمها هنا في بطء ،
ولا ما يحدث هنا .
لا شييء .
إذاً ، الأوجاع .
إذاً ، قبل كلّ شييء ، الكآبة ،
إذاً ، خبْرَةُ الحبّ الطويلة ،
إذاً ، لا شييء سوى اللّايقال ،
وأخيراً تحت النّجوم ، ما الفائدة :
كما هي ، أفضل : ألاّ تُقال .
فالجوّال لا يأتي من مُنحنى الجبل
بقبضةٍ من التّراب إلى الوادي ،
التّراب الذي لا يُقال ،
لكنْ بكلمة اكتسبها ، بكلمة نقيّة
وبعشبة زرقاء وصفراء .
هل نحن هنا ربّما لنقول :
بيت ، جسر ، نبع ، بوّابة ، إبريق ، شجرة ، ثمر ، نافذة ،

أو على الأكثر : أعمدة ، برج . . . . ؟
لكنْ لنقول ، تذكّرْ ،
آه ، لنقول ما لم تتصوّرْه الأشياء ذاتها أبداً أن تكون بهذا
العمق .
أليست الغايةُ الخفيّةُ لهذه الأرض الصّامتة
أن تجعل العشّاقَ ، حين تجمعهم ، يشعرون بكلّ شييء
يرتعش
في أعماقهم بالنّشوة ؟
العَتَبة : ما يعني لعاشِقَين يستهلكان قليلاً
عتبةَ الباب القديمة ؟
أيضاً هما ، بعد الكثيرين قبلهما

وقبل مَنْ يأتي . . . ، هكذا في صورةٍ طبيعيّة .
هنا زَمَنُ اليُقال ، هنا موطنه ،
تكلّمْ واشهدْ .
أكثر من أيّ وقتٍ مضى تزول الأشياء ،
الأشياء التي نعيشها ،

لأنّ ما يُزيحها ويَحلّ مَوضعَها
فعلٌ بلا صورة ،
فعلٌ تحت قشورٍ تنفجر بارادتها
حالما يتجاوزها العملُ في الدّاخل
إلى حدودٍ جديدة .
بين المطارق يصمد قَلْبُنا
كاللّسانِ بين الأسنان ،
اللّسان الذي ، مع هذا ، يواصل المدّيح .

إمدحِ العالَمَ للملاك ، لا ما لا يُقال ،
فأنتَ لا تَقدر أن توثّر عليه
بما أحسستَ من روعة .
ففي الكون الذي هو يُحسّه بشعور اقوى
ما أنتَ إلاّ مُبتدىء .
لهذا دلّه على شيىء بسيط ،
على شيىء يتكوّن من جيلٍ إلى أجيال
قريباً من البد والنّظر كشيىء يَخصّنا .

قُلْ له الأشياء
فَيَقفُ أكثر اندهاشاً
وقوفَك جانبَ الحبّال في روما
أو صانعِ الفخّار في النّيل .
دلّه كم يقدر على السّعادة شيىء ما ،
كم يقدر أن يكون بريئاً ،
دلّه على ما لَنا ،
وكيف الألم الشّاكي صافياً يُزمع على الشّكل ،
يَخدم كشيىء أو يموت في شيىء ،
ويَهرب إلى سعادةٍ تتخطّى الكمان .
وهذه الأشياء التي تعيش على الزّوال
تشعر عندما نرفع المديحَ إليها .
زائلةً تبحث عن مُنقذٍ فينا ،
نحن الأكثر زوالاً من كلّ شيىء ،
إنّها تريد أن نحوِّلَها كلّياً في القلب غيرالمرئيّ
آه ، وبلا نهايةٍ فينا ، مهما نكن في النّهاية .

أيـّتها الأرض ،
أليس هذا ما تريدين ؟
غيرَ مرئيّةٍ فينا أن تنهضي ؟
أليس حلمكِ أن تصيري مرّةً غير مرئيّة ؟
أيـّتها الأرض ! غير مرئيّة !
ما مهمّتكِ الملحّة إن لم تكن التحوّل ؟
أيـّتها الأرض ، أنتِ أيـّتها الحبيبة ، ها أنا أريد .
آه ، صدّقيني ، أنتِ لم تعودي في حاجةٍ إلى فصولكِ الرّبيعيّة ،
لتأخذيني إليكِ ،
ربيعٌ ، آه ، ربيعٌ واحد أكثر مـمّا يَحتمله الدّم .
بحنينٍ لا يوصف
ومن زَمَنٍ بعيد
لك صمّمتُ أن أكون .
دائماً كنتِ على حقّ ،
وَوَحْيُكِ القُدُسي هو الموت الصّديق .
تطلّعْ ، أنا أحيا . من أيّ شيىء ؟

لا الطّفولةُ ولا الآتي يصيران أقلّ .
وجودٌ لا حدود له
يفيض في القلب .

المرثية العاشرة

يوماً ما ، عند الخروج من الرّؤيا الحالكة ،
أغنّي الملائكةَ المستجيبةَ بالمديح والتّهليل ،
آملاً ألاّ تتعثّر مطارقُ القلب المضروبة بوضوح
بسبب أوتارٍ رخوةٍ مُرتابة ، أو مقطوعة .
آملاً أن يجعلني وجهي الفيّاض أكثرَ أَلَقاً ،
وأن يُزهرَ البكاءُ الخفيّ .
آه ، كم تصيرين ، عندئذٍ ، حبيبةً إليّ ،
أيـّتها اللّيالي القَلقة .
لَيَتني تقبّلتكنّ بأكثرَ ركوعاً
أيـّتها الأخوات البِلا عزاء ،
لَيَتني كنتُ أكثر استسلاماً لشعركنّ المُرسَل .
نحن مبدِّدو الأوجاع .
كيف نحدّق عبْرَها في الأوقات الحزينة

محاولين أن نرى مُسبَقاً نهايتَها .
غير أنّها هي وَرَقُنا الشّتائي ، واخضرارُنا الدّائم الدّاكن ،
إنّها أحدُ فصولِ السّنةِ الدّاخليّة ـ
ليست فقط فصلاً واحداً ـ
بَلْ هي مكانٌ ، محلٌّ إقامةٍ ، أساس ، أرضٌ ومسكن .

حَقّاً ، وَيلي ، كم هي غريبةٌ أزقّةُ الألم ،
حيث في الهدوء المزيّف الصّاعد من الضّجيج العالي
تتبجّح الهيأةُ الطّالعةُ من الفراغ بقوّة :
الضّجيج المُذهَّب والنُّصُب المُنْفَجر .
آه . كيف يَدوس ملاكٌ بلا أثرٍ سوقَ عزائهم
التي تَحدّها الكنيسةُ الجاهزةُ المشتراة :
نظيفةٌ ومغلقةٌ وخائبةٌ كمركزٍ للبريد يوم الأحد ،
بينما في الخارج تتماوج الأطراف بالكارنيفال .
تأرجُحُ الحرّيّة ! غطّاسو ومهرّجو الحماسة !
ومكانُ لعْبةِ الصّيد للسّعادة المُجمَّلة ،
حيث الهَدَفُ يَقفز ، وبصوتٍ معدنيّ يرتدّ

عندما يُصيبه واحدٌ ماهر .
من نجاحٍ إلى فَشَلٍ يَترنّح
بينما دكاكين الفضول تدعو ، تُطبّل وتزعق .
أمّا للكبار ، فهناك شيء خاصّ للرؤية ،
كيف يتكاثر المال في طريقة عضْويّة
لا للتّسلية فقط :
أعضاء المال الجنسيّة ، كلّ شيىء ، الكلّ ، الفعل ـ
هذا كلّه يُعلّم ويزيد الاخصاب .

آه ، لكنْ وراء كلّ هذا ،
وراء الّلوحةِ الأخيرةِ التي عليها إعلان «اللا ـ مَوت» ،
إعلانُ هذه البيرةِ المُرّةِ التي تبدو حلوةً للشّاربين
ما داموا يجترّون معها أُلهياتٍ جديدة ـ
تماماً خلْفَ الّلوحة ،
وراءَ ظَهرِها تمكث الحقيقة .

الصِّغار يلعبون
والعشّاقُ يُمسك واحدُهم بالآخر جانباً

وفي جدّية على العشب النّحيل ،
والكلابُ تفعل ما هو طبيعيّ ،
وأبعدُ من ذلك ، يَنجذب الشّاب ،
ربّما لأنّه يُحبُّ مرثيةً فَتيّة .
وراءها يأتي إلى المروج . له تقول :
بعيداً ، نحن نسكن هناك . . . .
أين ؟ والفتى يتبعها .
سلوكُها يؤثّر فيه :
الأكتاف ، العنق ـ ، ربّما تنحدر من أصلٍ عريق .
غير أنّه يتركها ، يعود ، ينظر إلى الخلف ، ويومىء . . .
ما الفائدة ؟ إنّها مرثية .

وحْدَهم الموتى الصّغار في حالتهم الأولى
من راحتهم اللا ـ زمنيّة ، في حالةِ فطامهم ،
يتبعونها بشغف .
أمّا الصّبايا فهي تنتظرهنّ ، وتصاحبهنّ ،
وفي رقّةٍ تدلُّهنَّ على ما تلبس :
لآلىء الألم وحُجُبَ الصّبر الرّقيقة .

لكنْ مع الفتيانِ صامتةً تسير .
وهناك ، حيث تسكن المرثيات في الوادي ،
تَهتمّ إحدى المراثي الأكثر قِدَماً
بالفتى عندما يسأل :
تقول له : مرّةً ، نحن المرثياتُ كنّا عائلةً كبيرة ،
في سلْسلةِ الجبال الكبيرة هناك
حَفَرَ أباؤنا المناجم ، عند البَشَر
تجد أحياناً شيئاً من الألم القديم المصقول ،
أو من بركانٍ قديم
رواسبَ غَضَبٍ حَجَريّ .
بَلى ، هذا ينحدر من هناك ،
فقديماً كنّا أغنياء .

في رقّةٍ تقوده في أرضِ المراثي الفسيحة ،
وتدلّه على أعمدةِ الهياكل ،
أو على أنقاضِ تلك الأبراج
التي منها قديماً حَكَمَ أمراءُ المراثي البلادَ بحكمة ،
وتدلّه على أشجار الدّموع العالية

وعلى حقولِ الكآبة المُزهرة ،
(الأحياء يظنّونها جفْنةً رقيقةً ، لا غير) ،
تدلّه على حيواناتِ الحزن التي ترعى ،
وأحيانا يخاف عصفورٌ
فيطير قريباً من حقلِ رؤيتهما
راسماً صورةَ صراخه المُنعزل .
ومساءٌ تقوده إلى قبورِ القدامى من عائلة المراثي ،
إلى العرّافات والمنذرين .

وحين يقترب الّليل يسيران في هدوء أكثر ،
وفي سرعةٍ
ترتفع كالقمر شاهدةُ القبر الحارسةُ كلَّ شيىء
شبيهةً بذاك الذي على النّيل ،
بأبي الهَول الشّامخ ـ :
وجهِ الحجْرةِ الصّامتة
ويندهشان من الرّأس المتوَّج
الذي أبداً وصامتاً
يَضَعُ وجهَ البَشَريّ

على ميزان النّجوم .

زائغاً من موته المُبَكّر
لم يتمكّن بَصَرُه من الاستيعاب .
غير أنّ نظراتِها عبْرَ طَرَفِ التّاج
تُخيف بومةً
تُلامس الخدَّ في حركةٍ بطيئة ، الخدَّ الأنضجَ استدارةً ،
وفي خفّةٍ ترسم في السَّمَعِ الجديد للميت ،
كما لو على صفحةٍ مفتوحةٍ مُزْدَوجة ،
خطوطاً لا توصف .

وإلى فوق ، النّجوم ، نجومٌ جديدة ،
نجومُ بلادِالحزن .
على مَهْلها تُسمّيها المرثية :
هنا ، أنظرْ : الفارس ، الرّكن ،
وتلك النّجومُ الأكثر اكتمالاً
يسمّونها إكليلَ الثّمر .
ومن ثمّ في اتجاه القطب :

السّرير ، المَمَرّ ، الكتاب المحترق ، اللّعبة ، النّافذة ،
أمّا في السّماء الجنوبيّة ،
نقيّةً كداخل يَدٍ مُبارَكة
تُضيء «م» بوضوح
وتَعني الأمّهات . . . .

لكنْ على الميتِ أن يتابع المسير ،
وصامتةً تقوده أقدمُ المراثي
حتى الوادي العميق الضيِّق
حيث يَلمع في ضوء القمر
ينبوعُ الفرح .
وفي وقارٍ تُسمّيه ، تقول :
«هوَ عند البَشَر جدولٌ جارف» .
عند أسفلِ الجبل يقفان
وهنا تُعانقه باكية .

وحيداً يصعد إلى هناك ،
إلى جبال الحزن الأوَّليّ ،

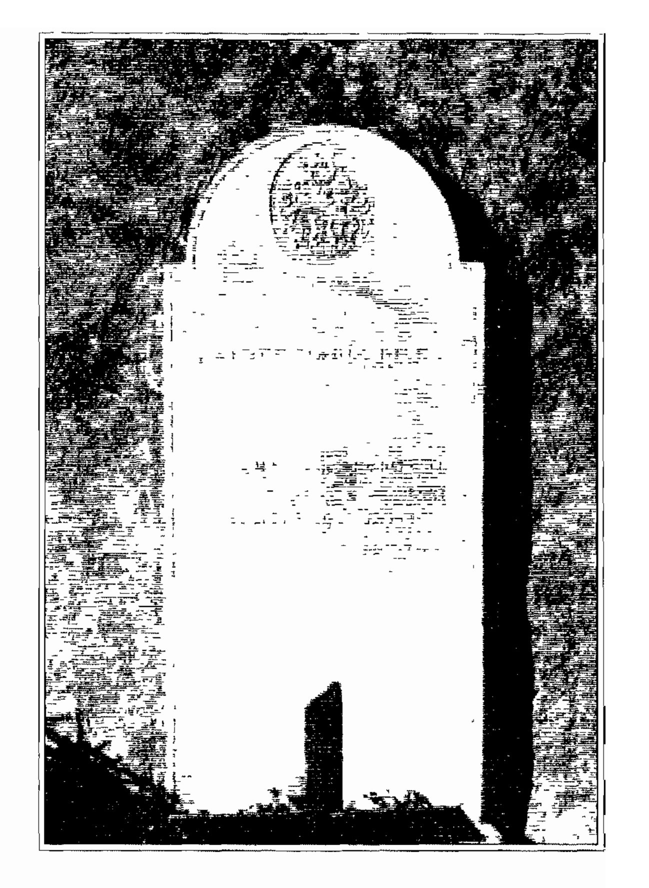
ولا مرّةً واحدة
يأتي صدى خْطوَته من المصير الأخرس .

لكنْ ربّما يوقظ الموتى بلا نهاية فينا رمزاً ما ،
أنظرْ ، هم ربّما يَدلّون إلى غبارِ زهرٍ يتدلّى
من شجرِ بندقٍ فارغ ،
أو إلى المطرِ الذي يسقط على التّربةِ القاتمة
فصلَ الرّبيع .

ونحن الذين نفكّر بسعادةٍ متصاعدة
نُحسّ بالشّعور الذي يكاد يجتاحُنا
عندما شيىء سعيد يسقط .



قصر موزو في سويسرا ، مسكن ريلكه من ١٩٢١ـ١٩٢٦ ،
حيث انهى تجربة المراثي .



متواه الأخير

تعريف

ولد الشاعر راينر ماريا ريلكه سنة ١٨٧٥ في مدينة براغ ، حيث تلقى دراسته الابتدائية والثّانوية ، ثمّ التحق بالمدرسة الحربيّة ، لكنّه فشل فيها لتعارضها مع ميوله الأدبيّة ، فسافر في ١٨٩٦ إلى مدينة ميونخ للدّراسة في جامعتها حيث تفرّغ لقراءة مؤلّفات الشّاعر الدّانمركي ينز ياكوبسن الذي طبع أثره العميق في نفسيّته ، وهذا الأثر يظهر واضحاً في كتابه ، «مذكّرات مالته لوريدس بريغه» ، (Aufzeichnungen von Malte Laurids Brigge) قضى ريلكه فصلين في جامعة ميونخ ، تعرّف خلالهما على «لو أندرياس سالومه» ، وكانت سالومه التي ولدت سنة ١٨٦١ ابنة رجل روسي وامرأة ألمانية . لعبت هذه المرأة دوراً هاماً في حياته حتى أيامه الأخيرة . وهذا الدّور لا يعود إلى شخصيّتها وحدها ، بل إلى رحلتَين قاما بهما معاً في ١٨٩٩ و ١٩٠٠ إلى روسيّا حيث

تعرّف ريلكه إلى تولستوي وإلى حياة الرّهبنة في الأديرة ، ما ترك خطوطاً عميقة من الزّهد والتصوّف في روحيّته ، وهذا يبدو جليّاً في «كتاب السّاعات» و«كتاب الصّوَر» اللّذَين اكتملا بين ١٨٩٩ و ١٩٠٥ .

في سنة ١٩٠٢ سافر ريلكه إلى باريس ، حيث تعرّف إلى النحّات رودان وعمل عنده حتى ١٩٠٦ ، ويُعتبر اتصاله برودان من أهمّ العوامل التي دمغت موقفه من عمليّة الابداع الشّعريّ . تعلّم من رودان أن الابداع الفنّي عملٌ مستمرّ يقوم على الارادة ، وتالياً على خلقِ أشكالٍ فنّية جديدة . ويبدو أثر هذا الموقف في «قصائد جديدة» و«قصائد جديدة : جزء آخر» الّلتين ظهرتا في ١٩٠٨ .

في ١٩٠٩ تعرّف الشّاعر إلى أميرة ثورن وتاكسس هو هنلوهه ، وكانت دعته سنة ١٩١٢ للاقامة في قصرها في دوينو ، إيطاليا ، حيث بدأ بكتابة مرثياته . في هذه المرثيات يتخطّى الشّاعر مرحلة رودان ، ويكتشف أن الخلق الفنّي يتمّ بقوّة خفيّة تتخطّى الارادة ، بقوّة تغرف الشّاعر وتقوده كما الأنسام للسّحب .

بعد صمتٍ مرير دام سنوات ، تفجّرت المرثيات سنة

١٩٢٢ في قصر قديم في موذو ، سويسرا ، وانتهت في وقت قصير من العام المذكور مع «أغنيات إلى أورفيوس» ، بعد هذه العاصفة الشعريّة كتب قصائد بالفرنسيّة تُعتبَر من أكثر نتاجه غنائيةً وفرحاً .

في التّاسع والعشرين من كانون الأوّل ، سنة ١٩٢٦ ، فارق ريلكه الحياة في موذو بعد مرضٍ قال تحت وطأته : « إنّي إنسان مُحطَّم» وحين أدركته الوفاة لم يكن حوله سوى امرأة عجوز لا تبارح المكان .

من يزرْ قبره الآن يقرأُ على حجارته بيتين من الشّعر للشّاعر نفسه :

أيّتها الوردة ، أيّتها التناقض النقيّ ، أيّتها الرّغبة
ما من أحدٍ يرقد تحت أهداب كهذه كثيرة .

والآن كلمة حول عالمه الشّعريّ .

للفلسفة الوجوديّة ينابيع فكريّة وأدبيّة . من ينابيعها الأدبيّة بعض ما أنتجه الشّاعر ريلكه . يؤكّد هذا القول كلمة وردت عن لسان ج . ف . أنجلّوس في كتابه «راينر ماريا ريلكه» الذي صدر سنة ١٩٣٦ ، مؤدّاها أن هايدغر ذكر له

مرّة أنّه لم يضف في فلسفته عمقاً جديداً إلى ما عبّر عنه ريلكه في صورة شعريّة .

غير أن ريلكه لم يغامر في الأراضي الوجودية منذ البداية ، فتجربته الشعريّة عبرت مرحلتين : مرحلة مبكّرة تشتمل على «كتاب السّاعات» و«كتاب الصّوَر» و«قصائد جديدة» و«قصائد جديدة : جزء آخر» ومرحلة متأخّرة ظهرت خلالها «مذكّرات مالته لوريدس بريغه» و«مرثيات دوينو» و«أغنيات إلى أورفيوس» .

تدور القصائد المبكّرة حول الله ، الله هو الحياة ، والحياة هنا تتعدّى الانسان إلى جميع الموجودات ، إنّها المحيط الذي منه تنبثق الكائنات ، محيط ينبض في هذه الكائنات ، محيط يحمل كل شيء كما تحمل البحار السّفن . على هذا الأساس لا وجود حقيقي للموت ، الموت مظهر آخر للحياة ، إنّه وجهها الخلفيّ ، كلاهما يتشابكان تشابك الخيوط بالخيوط والجذور بالجذور .

السّؤال : أين الوجوديّة من هذه الرّؤية ؟

في ١٩٠٤ بدأ ريلكه بقراءة كيركغارد الذي يعتبره الفكر المعاصر أحد الينابيع الوجوديّة الكبرى . وفي العام المذكور بدأ

الشّاعر بكتابة «مذكّرات مالته لوريدس بريغه» ، هذه المذكّرات التي ظهرت سنة ١٩١٠ ، في هذه «المذكّرات» يتحوّل ريلكه إلى الانسان في وجوده على هذه الأرض ، إلى تجاربه الكيانيّة كالخوف والانشغال بالعالم اليوميّ ، كالوحدة والزّمنيّة والموت ، أي إلى المواضيع التي تخصّ العالم الوجوديّ في صورة جذريّة . في هذه «المذكّرات» يرى ريلكه أن الموت أشبه بثمرة تنمو وتنضج داخل الانسان منذ البدء ، وليس حدثاً يصيب الانسان من الخارج ويُنهي وجوده . وهذا يعني أن الشّاعر بدأ بدخول العالم الوجوديّ في صورة واعية في «مذكّراته» ، غير أنه لم يسبر أغوار هذا العالم وأبعاده إلاّ في «مرثيات دوينو» ، و«أغنيات إلى أورفيوس» .

في «المراثي» يستمرّ ريلكه في مناخ «المذكّرات» ، لكن في صورة أنضج وأعمق . فهو ، كما هي حال «المذكّرات» ، يُعبِّر شعريّاً عن عالم الخوف والقلق ، عن الانشغال بالأمور اليوميّة ونسيان الذّات ، عن الحبّ والموت والزّمنيّة . غير أن موقفه من الموت يَتّخذ اتجاهاً آخر في «الأغنيات» ، ذلك أن الموت لم يعد أشبه بالبذرة التي تتفتّح وتنضج وتسقط كما لو كأنها كائن عضوي ، بل هو منذ البداية حقيقة أساسية مجبولة بوجود

البشريّ ، حقيقة جاهزة أبداً «للوقوع» . في هذه الحالة ، على الانسان ألاّ يهرب من الموت ، ألاّ يخافه ، ألاّ يحاول نسيانه بانغماسه في الحياة العاديّة ، بل عليه أن يعيش معه ، أن يصاحبه ، أن يحتضنه وأن يُغنّيه .

تشير هذه المقدّمة إلى علاقة ريلكه بالوجوديّة ، لهذا كان لا بدّ من إلقاء ضوء على الدروب التي سلكها ، ما جعلنا نفصل بين مرحلتين : مرحلة مبكّرة وثانية متأخّرة ، مع الاعتراف أنّ هذا الفصل غير صحيح تماماً ، ذلك لأن بعض الأوتار المبكّرة تستمرّ في نبضها حتى نهاية المطاف ، وأن التفسير الوجودي لهذا الشّاعر يهمل مواقف ميتافيزيقية من الصعب إخضاعها لحدود العالم الوجوديّ .

كلمات ايضاحية

١) الملاك : في المرثيتين ، الأولى والثانية ، وفي مرثيات أخرى تحتل كلمة «ملاك» مركزاً رئيسياً . و«الملاك» هنا لا يحمل مضموناً مسيحياً بل هو أقرب من حيث الجوهر إلى الدور الذي يلعبه زرادشت في فلسفة نيتشه : إنه الكائن الذي يحول باستمرار المرئي إلى اللامرئي ، الفضاء الخارجي إلى الفضاء الداخلي ؛ انه الكائن الذي فيه تتحد المتناقضات التي تمزق حياة الانسان . من هنا كانت قوته ، ومن هنا كان الرعب الذي يبعثه في الانسان .

غير أن التفسير الوجودي يرى أن «الملاك» هنا لا يعبر عن أي موقف غيبي بل هو تجسيد لصرخة الانسان الذي يبحث عن منقذ .

٢) كاسبارا ستامبا : امرأة ايطالية ، ولدت سنة ١٥٢٣ ، على جانب كبير من الثقافة ، أحبت الشاب كولالتينو الذي

راح إلى فرنسا ليحارب إلى جانب هنري الثاني ، وهذا بعد سنوات قليلة من الحب المتبادل بينهما . وحين عاد إلى بلاده كان تحول عن حبه لها ، ونتيجة لهذا التحوّل راحت تبحث عن النسيان في العشق آناً وفي الدين أحياناً إلى أن توفيت سنة ١٥٥٤ .

٣) سانتا ماريا فورموزا : كنيسة في البندقية .

٤) لينوس : إله يوناني قديم ، اغنيته مرثية للصيف الراحل ، ويقال إن من فقد إحساسه خوفاً ورعباً لوفاته كان يعود للحياة كلما غنى أورفيوس .

أيام طوبيا : طوبيت ، رجل يهودي نفي إلى نينوى ، وقبل هذا النفي كان ترك أموالاً لا بأس بها مع رجل في ميديا . وحين أحس بالموت أرسل ابنه طوبياس لتحصيلها ، وعندما راح طوبياس يفتش عن دليل له التقى بالملاك روفائيل الذي قاده إلى المكان .

٥) المرثية الخامسة تدور حول لوحة للفنان بيكاسو عنوانها : Les Saltimbanques إنها أكثر المراثي تعقيداً .

الفهرس

للمؤلف

مرساة على الخليج (شعر)	دار مجلة الشعر	١٩٦١
حنين العتبة (شعر)	المكتبة العصرية	١٩٦٥
راينر ماريا ريلكه (مختارات من شعره إلى العربية)	دار النهار	١٩٦٩
العشب الذي يموت (شعر)	دار النهار	١٩٧٠
الشعر والموت (مقالات فلسفية)	دار النهار	١٩٧٣
هلدرلن (مختارات من شعره إلى العربية)	الدار الأهلية	١٩٧٣
علامات الزمن الأخير (شعر)	دار النهار	١٩٧٥
أنهار بريّة (شعر)	دار النهار	١٩٨٢
شعر أميركي معاصر (مختارات إلى العربية)	الجامعة الأميركية	١٩٨٥
غيورغ تراكل (مختارات من شعره إلى العربية)	المطبعة البولسيّة	١٩٨٧
يوميات حطّاب (شعر)	دار صادر	١٩٨٨
سلّة الشيخ درويشّ (شعر)	دار صادر	١٩٩٠
نوفالس (مختارات)	دار صادر	١٩٩٢
قصائد هندي أحمر (شعر)	دار صادر	١٩٩٣
أولي كومندا سانتغيرات (مختارات من شعرها في الألمانية والعربية)	دار صادر	١٩٩٤

Die Herausgabe dieses Werkes wurde aus
Mitteln von INTER NATIONES, Bonn
gefördert

Die Übertragung dieser Elegien ins
Arabische hat im "europäischen
Übersetzer-Kollegium", Straelen,
angefangen, aber in der Villa Waldberta,
Feldafing, wurde siė zu Ende gelbracht.

Rainer Maria Rilke
Duineser Elegien

Übertragen von
Fuad Rifka

DAR SADER
Beirut 1997



ريلكه زمن المراثي

حَقّاً ، غريبٌ ألاّ نَسكنَ الأرضَ بَعْدُ ،

ألاّ نُمارسَ عادات بالكادِ تعلّمناها ،

ألاّ نُعطي الورودَ وأشياءَ أُخرى واعدةَ

معنى مستقبلٍ بَشَري ،

وألاّ نَظلّ ، كما كنّا ، في يَدَين خائفتين بلا نهاية ،

وأن نرمي بأسمائنا جانبا كلعبة مُحطّمة .

غريبٌ ألاّ نستمرّ برغائبنا .

غريبٌ أن نرى العلائقَ كلّها

في الفضاء محلولةَ تتبعثر